إلى وزارة المعارف :

وعلى هذا فنحن ندور ...

للأستاذ كامل السيد شاهين

وها هو ذا العام الدراسي قد ابتدأ ، بعد أن تحيفته عوامل وأسباب نستكره الخوض فيها ، ونرجو أن تكون عوامل خير واستعداد وتهيؤ لا عوامل تخوف واستيحاش وإجفال .

يبدأ العام الدراسي بعد شهور خمسة قضتها الوزارة في فتح المدارس وتنظيم المصروفات ، وإجراء التنقلات والترقيات ، وغير هذا مما هو من نصيب المدرس أو الناظر أو المفتش أو المراقب ، وكلهم — بحمد الله — يقظ ، مفتح العين ، مترقب عامل دءوب ، متنسم لأخبار الترقيات والعلاوات ، متخصص في تطبيق « الكادر » سباق إلى ذوى الحظوة القريين ليقفز درجة أو ينال مرتبة .

وقد أبلت وزارة المعارف بلاءها السنوى . فنال من نال ، وحُرم من حُرم ، وبات الجميع بين مفطور القلب أسوان ، ومفتر الثغر فرحان . فأما الذى نسيته الوزارة والقوامون على تصريف شئونها ، وأغفلته شر إغفال ، ولم يذكّرها به مذكر ، فذهب ضياعا وراح هدرا ، فهو حق التلميذ . فللتلميذ الحق الأول لدى وزارة المعارف ؛ وليس حقه هذا في مصروفات تزاد أو تنقص ، ولا في غذاء يخفف أو يجوّد ، فالخطب في المال يسير ، وهو في الغذاء أيسر ، وما كان أمر المال أو الطعام بالأمر الذى يدخل في اختصاص وزارتنا في الصميم ، وإنما حقه في تيسير العلم ، وترقية الطرُق ، وتفدية المواهب ، وحل المشكلات ، والتجانف عن التعقيد والالتواء . وإماطة الأشواك المربكة لمقله ، والمعوقة لفهمه ، وتنقية الكتب من الطفيليات العلمية التي تتعلق بالأصول المفيدة ، فتحد من إفادتها وتقلل من قيمتها .

وما كانت وزارة المعارف — وحاشاها — أن تلتفت إلى حق التلميذ هذا ، وكيف تلتفت وصاحب الحق قاصر ، والقوام عليه مشتغل بشأنه عنه ؟ وكيف تلتفت ، وهذه اللفتة لا تفيدها ضجيجاً ولا تلفت إليها الأنظار ، ولا تخرجها إلى عالم لا يسمع إلا الفرقعة المدوية ، والانفجار الهائل ؟

وكيف تلتفت ، وهذه اللفتة لا تفيدها ثناء ولا إطراء ، ولا تجر إليها إعجاباً ولا إكباراً ؟ وهي بمنجاة من اللّوم ، فصاحب الحق خافت الصوت لا يعرف حقه ولا يدريه !

ابتدأ العام الدراسي ونظرنا فإذا المقررات هي هي ، وإذا الكتب هي هي ، منذ عشرة أعوام حتى لكأنما سار هذا الوكب الحافل من المدرسين والمفتشين طوالها لا يلمسون عيباً ، ولا يحسون عوجاً ، ولا يرتضون عنها بديلا . وكأنما رضوا ما آتاهم المفتشون ولُصقاؤهم من كُتب خالدة باقية على الزمن يتغير كل شيء ولا تتغير ، وتعيش في جو يُجر التلميذ والمدرس إليه كرهوا أم رضوا ، تعبوا أم استراحوا فإنما هو تأليف فلان أو فلان من الخيرة الأعلام الراسخي الأقدام !

يتغير كل شيء ويتطور ، وتخرب الأرض وتعمر ، وتقوم الحرب وتضع أوزارها ، وتثور الشعوب وتخمد ثورتها ، والكتب المدرسية ماضية فيما هي فيه لا تتأثر بهذه الأحداث ، وأي عيب في هذا ؟

أليست حقائق الأشياء ثابتة ما لها من زوال ؟

لقد بُحت أصواتنا — نحن المدرسين — أن أدركوا الناشئة من التلاميذ التي جنت عليها الدراسات العقيمة في الأدب والقواعد الجافة التي لا تخرج عن أنها مضيعة للوقت ومفسدة للعقل ، فقالوا : عداموس نسافون مخربون ، جئنا لهم بالأحجار والملاط ، وقلنا لهم شيدوا ! أولا ، فأفسحوا لنا المجال لنشيد بعيدا عن تحكم المفتشين ، ومجرفة المناهج ، فأبوا إلا مضياً في الفساد ، ورجفت قلوبهم من التغيير والتجديد . وهأنذا أضع بين يدى القارئين طرفاً من هذا العوج حتى يلببوا القائمين على شئون التعليم بوزارة المعارف ، ويردوهم إلى شيء من التبصر في أمر هذه الناشئة .

فالتلاميذ في المدارس الثانوية يدرسون أدب اللغة العربية على طريقة التلقين فالحفظ من غير تذوق الإدراك ، ولا إحاطة

بملابسات العصر المدروس ، فى كتب مضغوطة محشوة ، وكثيرا ما يلجأ المدرس إلى بترها أو مسخها أو سلخها ، فيزيد من غموضها وانبهامها ، ويخرج التلميذ بجمل فى كل شاعر أو خطيب لا تبقى معه إلا ريثما يخطها فى ورقته ثم يفرق الله بينهما أبد الآبدين .

وقد اقترحنا علاج هذه المشكلة بأن يقرر مع العصر روايات لها فائدتها فى إنارة العصر المدروس وأحواله الاجتماعية ، فرب رواية تكون أجدى على التلميذ من قراءة كتاب من موسوعات أدب اللغة .

اقترحنا أن تقرر رواية «عنترة بن شداد» مع العصر الجاهلى ، ورواية « شاعر ملك » مع العصر الأندلسى ، ورواية « فارس بنى حمدان» مع العصر الثانى العباسى ، وأن تنشأ روايات أخرى لهذا الغرض عينه يراعى فيها الإكثار من الشواهد ، والتحرى لطابع العصر ، فلذلك فائدته وجدواه ، وقلنا : إن التاريخ الأدبى مغلول بالتاريخ السياسى مقيد به ، ومع اعترافنا بقيم الأحداث السياسية ، فإننا نرى أن متابعة تاريخ الأدب للتاريخ السياسى خطوة خطوة وشبراشبرا مما يتضمن الإسراف على حقائق الأدب وتطوره إلى أبعد مدى .

وقلنا : إن الدراسات النثرية فى الأدب لم تأخذ حظها وافيا من الدراسة وأن الشعراء خطوا خطوة واسعة ، على حين أهمل أمر كثير من الكتاب . ولو أننا تتبعنا الأعمدة التى وضعها الكاتبون فى أدب اللغة لتطور الكتابة لوجدناهم قد راعوا ناحية الوظيفة ، فجعلوا من الكتاب « الموظفين » أعمدة على حين بقى غيرهم لا يعرف ولا يشار إليه ، ففى هذه الطريق نجد « عبد الحميد » وهو موظف ، ثم بعده نجد ابن العميد ثم بعدهما نجد القاضى الفاضل ، وهما موظفان كذلك . فيملأ العجب جوانحك وتتساءل فى استغراب ودهش : أين ابراهيم بن المهدى ، وهو ذو أسلوب فى النثر مبتدع ؟ وأين الجاحظ سيد كتاب عصره ، والذى سوى لنفسه طريقة لا تزال تؤتسى إلى يوم الناس هذا . وهذان مثلان من مُثل كثيرة ، ليس هذا مقام تتبعها وأيا ما كان ، فإنه يجب أن يخطط تاريخ الكتابة تخطيطا جديداً ، ويخص بقسط من العناية أوفى .

قلنا هذا كله ؛ وسمعنا إطراء وثناء وبدت لنا الآذان مفتحة والنفوس منشرحة ووعدنا بالنظر ، فكان النظر فى كل شىء إلا فى حق التلميذ فقد بقى « على قدمه » ، كأنما هذا الذى بين يديه ، غاية الغايات وآية الآيات !

وقلنا إن المستوى الإنشائى للتلاميذ غير مناسب ، فيجب أن تقرر عليهم روايات أخرى تنزع بهم إلى ترقيه الأسلوب وتذوق الجمال فى الآثار الأدبية « كآلام فرتر » و « روفائيل » وكتب فيها مقالات أمشاج ، تذهب فى علاج نواحى اجتماعية أو سياسية فى أسلوب أدبى راق « كفيض الخاطر » و « مختار البشرى » على أن يكون لها نصيب من الدرجات حتى يرغم التلميذ على قراءتها وإجادتها وتذوقها والإفادة منها .

ونحن إذ نهيب بوزارة المعارف أن تولى أمر المناهج والمعلومات التى يتلقاها التلاميذ عنايتها إنما نفعل بدافع من هذا الأسف الممض الذى يعتصر قلوبنا اعتصاراً على نابتة تفنخ فى غير فهم ولا تسير فى طريقها على أتم !

ولى عودة إلى مناهج التعليم الابتدائى إن شاء الله .

كامل السيد شاهين
المدرس بالمدارس الأميرية

إعلان

تقبل العطاءات بمكتب حضرة مراقب الإدارة العامة بوزارة الزراعة بالدقى لغاية ظهر يوم ٢٨ ديسمبر سنة ١٩٤٦ عن توريد جرارين وماكينة دراس ومحاريث وخلافه لقسم الهندسة الميكانيكية . وثمن النسخة من الشروط والمواصفات ١٥٠ مليما بخلاف ٣٠ مليما أجرة البريد .

٦٣٢٩